

هل تكون "الجمهورية الثانية" جمهورية القهر والاستغلال؟

بقلم الكولونيل شربل بركات

أوصلنا من حكم لبنان في "الجمهورية الأولى"، أو ما قد يسميه البعض "جمهورية الموارنة"، إلى الحرب التي كلفت البلاد آلاف الضحايا والمشردين ورحيل مئات ألوف المهاجرين إلى كل أصقاع الأرض وانتهاء حالة "العرس" والرفاهية التي عاشتها البلاد طيلة عشرات السنين غدا خلالها لبنان "سويسرا الشرق" ومحجة السواح والاقتصاديين ومركز الشرق الأوسط المصرفي والتجاري وما إلى هنالك..

ولكنه كان أيضا بلد الحريات على مختلف أشكالها، من حرية الرأي إلى حرية المعتقد إلى حرية التدريس إلى حرية السوق إلى حرية الأحزاب وحتى إلى حرية اقتناء السلاح والمجاهرة بذلك. حتى وصلنا إلى الحرب التي قلبت الموازين وهدمت الأصرحة وجعلتنا "شراية خرج".

فقد كان ذلك اللبنا قائما على "ديمقراطية الطوائف" أو لنقل "المجموعات الحضارية" كما يحب البعض تسميتها في عالم اليوم ، وكان تحت هذا شعار قد أعطى لكل مجموعة حضارية حقها في هامش من الحرية يؤمن لها الاستمرار وعدم الذوبان في بحور الأكترييات التي تسحق الآخرين في العالم. وهكذا فقد كان بلد الطوائف الثماني عشرة، وبلد اللجوء لكل المضطهدين في البلاد المجاورة، وأصبح أيضاً البلد الذي يستقبل كل مغضوب عليه في بلد آخر، حتى صار في النهاية بلد اللاجئين السياسيين من كل بلاد العرب، فغاظ الجيران والأقرباء والأنظمة التوتاليتارية أينما وجدت في واحات الشرق الأوسط. وهذا طبيعي فلا يمكنك أن تدعي تقديم ملجأ للناس المضطهدين أو المتضايقين ولا تمنح هذا الحق للسياسيين الهاربين. ومن هنا كان هذا الملاذ للأحرار نقطة الضعف مع الجيران، حتى أنهم في النهاية هاجموا وقضوا عليه وعلى شكل الحكم فيه، ولم يعد اليوم بلد الحرية حتى لبنيه ولم يعد بلد الحقوق لطوائفه وصرنا نعيش حالة من القهر تنتقل من مجموعة لأخرى ليصل الكأس للجميع.

فيوم وقف كمال جنبلاط وحاول عدم الرضوخ ، كان جزاؤه الموت ودفع آخرون ثمن موته . ويوم وقف مصطفى سعد بوجه الدبابات التي كانت تدخل صيدا في ١٩٧٦ ، لم تنسى له هذه "الجريمة" وعاد فدفع الثمن يوم رحيل الإسرائيليين. ويوم خرج داني شمعون على موجات الأثير طالبا وقف "الزحف الأخوي" صارخا مجاهرا، حفظوا له تلك "الخطيئة" وكان مصيره الموت الشنيع مع أفراد عائلته ليكون عبرة للغير. ويوم رفض الرئيس معوض الهجوم على الشرقية قتل في سيارته الرئاسية وخرج من كتب التاريخ. ولماذا قتل الشيخ صبحي الصالح والمفتي حسن خالد والرئيس رشيد كرامي فضلا عن الرئيس الشيخ بشير الجميل وغيره من

القادة ، وكل واحد من هؤلاء ينتمي إلى مجموعة حضارية مختلفة . ولماذا قتل الصحافيون وعلى رأسهم سليم اللوزي ورياض طاهما ..

كل ذلك لتسقط جمهورية الحريات ويتعلم المواطنون أن هذه البلاد كجاراتها يجب أن تحكم بالقبضة الحديدية والفكر التعسفي. ويقولون لنا أن الحكم اليوم هو حكم الشيعة وكأن البلاد قد خرجت فعلا من حكم الغرباء لتحكم من قبل فئة من بنيتها. ولكن الشيعة ليسوا الحكام أيضا، فالحاكم الفعلي هو إما الأئمة الذين يخططون لإمبراطورية "الخلفاء" القائمة على التعسف والتسلط تحت غطاء الدين، في بلادهم أولا ، ومن ثم حيث ما استطاعوا ، ووسيلتهم إلى ذلك السلاح المتوجّج بآيات الدين، وإما "الأشقاء" الذين فرضوا، بأجهزة مخابراتهم ووسائل القمع الذين يعرفون جيدا كيف يستخدمونها ، نظامهم التعسفي الخالي من كل هوامش الحرية. وهكذا فقد أصبحنا في لبنان نعيش حالة مماثلة لحالة جيراننا، لا بل أشنع ، حيث كثر عدد الأجهزة والعيون التي تراقب، ودخل الفساد إلى كل شيء ، ووصل الظلم إلى حد الخوف من الحديث بين الإنسان ونفسه، فتهجّر الناس وتشتتوا في أصقاع الأرض، وتوقف الاقتصاد، وكاد البلد ينهار لأن النظام الذي يتحكم بما يسمونه "الجمهورية الثانية" هو نظام مصطنع يفتقد لمقومات لبنان الأساسية وهي قبل كل شيء وفوق كل شيء **الحرية** ثم **الحرية**. وهذا النوع من النظام القائم على القهر والاستغلال، لن يدوم لأن في لبنان دماء تغلي وقد تربت على عدم الرضوخ، ولم يستطع غزاة أعتى من أن يقهروها.

فسلام على الجمهورية الثانية وسلام على زعماء القهر فيها فإن التاريخ لن يرحم ...